أطفال الخليج
مركز دراسات وبحوث المعوقين
www.gulfkids.com

رؤية إسلامية

للارتقاء بقدرات الموهوبين والمتفوقين

تقديم

د. مصطفى الزياخ

مديرا لأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي

تقديم:

دأبت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة على رصد حاجات الدول الأعضاء في ميادين التربية والعلوم والثقافة والمشروعات ذات الأولوية في سياق التقدم الذي تشهده فروع المعرفة؛ والبحوث العلمية ونشر التكنولوجية والتقانات الحديثة لاسيما في مجال المعلوماتية والعلوم الحيوية والاتصالات؛ وتضمين الأنشطة التربوية والعلمية ذات الأولوية ضمن خططها الثلاثية؛ حرصاً منها على استمرار النهوض بواقع التربية في الدول الإسلامية الأعضاء وتوسيع آفاق التعاون فيما بينها؛ وتهيئة المناخات والآليات التي تمكن من تبادل الخبرات والتجارب الرائدة في ميادين التربية المتقدمة ليتمكن الناشئة في الدول الإسلامية من استيعاب معطيات العلوم الحديثة وامتلاك أساليب البحث العلمي والارتقاء بخبراتهم ومهاراتهم الفكرية والعملية وتنمية مواهبهم وقدراتهم العلمية وصولاً إلى مراتب التجديد والإبداع.

انطلاقاً من هذه المنهجية العلمية للمنظمة؛ التي تستند إلى رؤية إسلامية في تعزيز قيم العلم والأخلاق الأصيلة؛ وفهم الكون وإعماره من خلال تربية العقل؛ وتنمية قدرات المتفوقين وحسن استثمار ذوي المواهب العلمية والفنية كثروة وطنية وإنسانية لتستمر الحضارة الإنسانية بمسيرتها الصاعدة؛ فقد رأت المنظمة التركيز في خطتها الثلاثية للأعوام ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦؛ على الأنشطة والمشروعات التي تتعلق برعاية التفوق والمواهب لأجيال الأمة؛ لإيمانها العميق بأن قراءة تاريخ الأمة الإسلامية تظهر الكثير من المبدعين في ميادين العلوم والطب والذين قدموا للبشرية عطاءات علمية ومخترعات تقنية وطبية؛ كانت الأساس في النهضة العلمية والصناعية الحديثة.

وفي هذا الاتجاه؛ تضمنت خطة المنظمة المذكورة مشروع خطة لتنمية قدرات المتفوقين والموهوبين؛ بهدف:

- بيان أهمية التفوق والإبداع وتنمية الميول والمواهب في حياة الأفراد والأمة والإنسانية ثروة علمية واجتماعية واقتصادية.
- الأخذ بيد الدول الأعضاء لوضع برامجها الوطنية التي تمكن من تهيئة المناخات التربوية لأبنائها المتفوقين والموهوبين للارتقاء بقدراتهم وخبراتهم وصولاً إلى قمم

الإبداع ضمن رؤية إسلامية سليمة؛ تعزز مكانة العلم والعلماء؛ وتؤكد دور الإنسان في تعمير الكون لخير البشرية وسعادتها وتمكن من المواجهة الواعية لجميع تحديات العصر الثقافية والتقانية والمصيرية؛ التي أفرزتها رياح العولمة الاقتصادية والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتسارعة.

- الإسهام الفاعل لاستراتيجية تنمية قدرات المتفوقين والموهوبين في تطوير النظم التربوية والنهوض بها نوعياً لأن توعية التعليم أضحت مطلباً ضرورياً لتكون التربية بمنتجاتها البشرية أكثر قدرة على تلبية احتياجات التنمية المستدامة لهذا كله فقد أقر المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة في دورته الأخيرة التي عقدت في طهران عام ٢٠٠٤م إعداد مشروع استراتيجية تنمية قدرات المتفوقين والموهوبين في العالم الإسلامي نظراً لدورها في تنمية الثروة البشرية المتميزة للدول الإسلامية وإيماناً من المؤتمر بدور التربية الفاعل في تربية العقل وتنمية القدرة على التفكير السليم والارتقاء بإمكانات الأجيال العلمية وتنمية ميولهم ومواهبهم ليتمكنوا من العطاء الأفضل وتأدية الدور الأجدى في بناء ذاتهم ورفاهية أمتهم وسعادة الإنسانية جمعاء.

" شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم". (آل عمران ـ الآية ١٨)

تنمية الفكر الإبداعي الإسلامي

عني الإسلام ببناء الإنسان فاستخلفه الله في الكون ليعمره؛ ولهذا فقد أخذت التربية في جميع مراحل الدعوة الإسلامية مواقع متميزة شملت جميع أبعاد تكوين الشخصية العقلية والمعرفية والأخلاقية والصحية والاجتماعية والمهنية؛ وقد تكامل هذا الاهتمام بهذه الأبعاد في مسيرة انتشار الإسلام وتشريعاته، التي رفعت الإنسان إلى أعلى مراتب المخلوقات في قوله تعالى:

" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " (سورة التين ـ الآية ٤)

كما أن التربية العقلية حظيت باهتمام ملحوظ في بداية الدعوة الإسلامية واتسعت آفاق هذه الرؤية لتشمل جميع مكونات الشخصية استعداداً للحياة؛ وتمكناً من اكتشاف أسرار الكون؛ والإبداع في اكتشاف القوانين العلمية والتقدم بأنواع العلوم الإنسانية والتجريبية التي وردت أصولها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة؛ وهي بهديها نقلت العرب والأمم الأخرى المسلمة من القبلية إلى الأمة الموحدة؛ ومن الخرافة والأسطورة إلى منهجية العقل والعلم والبحث وتربية التفكير والحوار وهي المنهجية التي تتجلى علميتها في كل عصر مع مرور الزمن ومستجدات العصور استناداً لما ورد في القول الكريم:

" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم؛ حتى يتبين لهم أنه الحق؛ أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد..." (سورة فصلت آية ٥٣)

- فالتربية في الإسلام، بقدر ما تستند إلى مبادئ وأسس راسخة في بناء الناشئة الإسلامية؛ فهي في الوقت ذاته؛ دائمة التجديد لامتلاك ناصية المستجدات العلمية التي ينتجها العقل البشري على أساس ما أودعه الله في بنية الكون؛ وما نشر فيه من أحياء وما أوجد فيما بينها من علاقات؛ ونظم تتحول فيها الطاقة من حال إلى حال؛ وبما وهبه للإنسان من قدرات عقلية متميزة تتسم بقابلية النماء المتدرج وفقاً لأنماط الخبرات والكفايات التي يكتسبها من البيئة التربوية والاجتماعية المحيطة؛ من خلال آليات التفاعل المنظّمة؛ لترقى من خلالها إلى مستويات عقلية وأدائية تتجاوز قمم التفوق إلى مراحل الإبداع المتميز؛ والعطاء الأوفى للوطن والأمة والإنسانية جمعاء؛ وقد خص الله هذا المستوى من العلماء بالتكريم والتقدير حيث قرن مراتبهم وأسماءهم بأسماء الملائكة وباسمه العلي في الآية الكريمة:

" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط؛ لا إله إلا هو العزيز الحكيم" (سورة آل عمران ـ الآية ١٨)

كما بين الحديث الشريف أن العلماء هم خيار الأمة " **خيار أمتي علماؤها** "

تربية العقل على منهجية التفكير وعلمية الحوار:

لقد استندت الثقافة الإسلامية في إعداد الإنسان خلال الدعوة إلى عوامل متعددة ومن بينها العاملان الأساسيان اللذان يرتبطان بمنهجية التفكير والحض على التحصيل العلمي.

فمنهجية التفكير تعد أساساً لتعرف الكون الذي نعيش فيه والظواهر الفيزيائية والحيوية والاجتماعية التي ينبغي أن تكون المدخل الحقيقي للإيمان وأسلوباً فاعلاً لاكتساب مهارات التفكير المنطقي ومهارات التفكير العلمي من قبل الدارسين (أطفالاً وطلاباً) بوجه خاص.

وقد وردت الآيات القرآنية الكثيرة التي تتعلق بالإيمان؛ تحض على التفكير والمحاكمة العقلية؛ كما وردت آيات كثيرة تحض على ضرورة المشاهدة الحسية والاستنتاج والتفكير المنطقي للوصول إلى النتيجة والتعميم.

من هنا كان العلم في إعداد الإنسان أساساً لفهم الكون الذي نعيش فيه ونتفاعل معه، فكانت الآيات الأولى في نزول القرآن الكريم هي تلك التي تحض على القراءة والتعلم والاكتشاف:

" اقرأ بسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم " (سورة العلق ـ ١ـ ٥)

كما أكد الإسلام ضرورة ارتكاز الحوار المقنع على العلم في الحجة والبرهان: ويبدو ذلك واضحاً في الحوار مع آدم والملائكة:

" وعلم آدم الأسماء كلها؛ ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.." (سورة البقرة ـ ٣١)

كما اشترط الإسلام أسبقية العلم والمحاكمة العقلية وامتلاك المهارات المهنية والتقنية لفهم ظواهر الكون وإنجاز الاكتشافات والاختراعات التقنية في مسارات التقدم التقاني حيث خاطب الله الجن والأنس بقوله

" يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ".(سورة الرحمن ـ ٣٣)

دواعي تنمية قدرات الموهوبين

من تطبيقات ديمقراطية التعليم لنظم التعليم المتنوعة في العالم الإسلامي فإن نسباً عالية من الأطفال لا سيما أولئك الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٦ـ ١٨) عاماً؛ تلج مدارس الدول الإسلامية وترتفع هذه النسب في الدول التي تطبق سياسة التعليم الإلزامي؛ وقد تطلب ذلك جهوداً كبيرة وكلفة مادية عالية من هذه الدول لاستيعاب هذا الكم الكبير من الأطفال والتلاميذ والطلبة؛ وقد ترك ذلك أثراً واضحاً في نوعية مناهجها وطرائقها وتقاناتها التي لم تتمكن من تلبية حاجات المتعلمين وفق مستجدات العصر ومتطلبات التنمية من أطر مؤهلة نوعياً تمتلك مهارات فكرية وتقانية؛ وقدرات لاستثمار تقانات العصر لمصلحة المجتمع وتقدمه وتكوين الفكر المتجدد والمنفتح الذي يتفاعل ايجابياً مع المؤثرات الاجتماعية والتقانية؛ ولا يقتصر هذا الأثر غير المتوازن مع الأهداف النوعية للتعليم؛ على المرحلة الزمنية الحاضرة؛ وإنما سيؤدي إلى خلل في مستقبل الدولة وخططها الاستراتيجية الوطنية لبناء القدرات الشابة والأطر المؤهلة.

الانتقال من سيادة العقل الناقل إلى العقل المتجدد مع مسيرة الزمن:

- عني الإسلام بتكوين الإنسان وإعداده فقد خلقه الله في أحسن تقويم؛ واستخلفه في الكون ليعمره؛ ولهذا فقد أخذت تربية الإنسان مواقع بحث متميزة في جميع مراحل الدعوة الإسلامية شملت أبعاد التربية العقلية والمعرفية والأخلاقية والصحية والاجتماعية والمهنية؛ وتكامل الاهتمام بهذه الأبعاد في مسيرة انتشار الإسلام وشرائعه حيث كان التركيز على التربية العقلية وتكوين العقيدة في بداياته ثمّ اتسعت آفاقه ليشمل مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والصحية والاقتصادية ومستجدات المعرفة وأنواع العلوم المتعددة والتي وردت أصولها في القرآن الكريم والسنة النبوية حيث أكد القرآن الكريم استمرارية وتجدد الأحداث في مسيرة الكون التي تمكن الإنسان المسلم من الإطلاع على الحقائق العلمية المتواترة في ذاته وفي الآفاق البعيدة من خلال العلم والتفكير والاستقصاء؛ وهي في الوقت ذاته تحفيز صريح للباحثين العلماء على البحث والتقصي والاكتشاف في مسيرة الزمن **فالعصر متجدد** بعلومه؛ وحاجاته؛ وأولوياته؛ **والخسران لاحق** بمن لا يعمل بوعي وذهن منفتح على هذه العلوم وتجددها؛ والإفادة منها؛ والتخطيط

الأسبق المستنير لها ولا سيما في مسار التنمية البشرية التي تبدأ بالعقل المنظم أولاً وهذا يظهر عمق الإدراك السليم للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة؛ والرؤية الاستراتيجية لخططها وبرامجها التي أبرزت أهمية وأولوية إعداد خطة لتنمية قدرات الموهوبين والمتفوقين في العالم الإسلامي الذي يزخر بالطاقات البشرية والعقول النيرة التي لا تنقطع في العصور المتتالية لاكتشاف حقائق جديدة وتقانات وآليات متقدمة ليس على الأرض التي يعيشون عليها وإنما في فضاءات أخرى متحركة ليستمر عقل الشخصية المسلمة في ديناميكية هادفة ضمن الرؤية الإسلامية السليمة؛ أمام التحديات الثقافية وانتشارها والأفكار المشوهة لحقيقة الإسلام؛ غير أن سيادة العقل الناقل التي أدت إليه الأنظمة التربوية القائمة في العالم الإسلامي لم تعد تمكن الشخصية الإسلامية حاضراً ومستقبلاً من مواجهة هذه التحديات لأنها ستكون منفعلةً بالأحداث بدلاً من أن تكون فاعلاً بها ورائدة للمسيرة كما أرادها الإسلام عزيزة رائدة فكراً وعلماً.

ولكي تسهم التربية في البلاد الإسلامية في إعداد أجيال يتمثلون قضايا العصر المتجددة؛ بوعي علمي وفكر مستنير؛ ويمتلكون ناصية البحث العلمي؛ قادرين على تكييف التقانات الحديثة واستثمارها ضمن أخلاقيات أصيلة في عصر تموج به البشرية دون هدى ولتحقيق هذه الغاية الأساسية للتربية؛ فإن على التربية في الدول الإسلامية أن تشكل مناخات تربوية ونفسية وأخلاقية في المدرسة وفي المجتمع تمكن وتحفز على تنمية قدرات الموهوبين والمتفوقين والمبدعين من أبناء هذه الأمة وهم كما يشهد تاريخ الأمة العربية والإسلامية رواد حضارة وإبداع؛ وهذا يقتضي مواجهة عدد من التحديات التي تواجه التربية في المجتمع المعاصر الذي تطالعنا به بدايات الألفية الثالثة؛ وبالرغم من تعدد واتساع حجم هذه التحديات فإن الثقة واليقين اللذين أبرزهما القرآن الكريم في مسيرة العصور أياً كانت؛ تحثّ المسلمين على الاستمرار بالعمل الجاد والتربية السليمة وتؤكد أن الأمل في مستقبل أفضل لا يتحقق إلا من خلال تربية أفضل تستند إلى العلم في تربية العقل؛ وإلى الصدق والإتقان في العمل.

تصديقاً للآيات الكريمة:

" والعصر إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .." (سورة العصر – ١-٣)

فالزمن في الإسلام معلم حضاري أساسي ،والالتزام بالإفادة منه مبدأ لاستمرار التقدم والنجاح .

المواءمة بين متطلبات التقدم واستثمار طاقات الموهوبين والمتفوقين :

إن تحقيق المواءمة بين متطلبات التقدم وتعزيز المسار الحضاري للدول الإسلامية ، وتوفير الوسائل الملائمة لاستثمار طاقات وقدرات الموهوبين والمتفوقين يستند إلى الأسس الآتية :

- تحقيق العدالة الإنسانية للأفراد الذين يتمتعون بطاقات وإمكانات عقلية متميزة، متجسدة في الأساس الو راثي الذي يتمتعون به والذي يشكل أساس الوظائف الحيوية (الفيزيولوجية phisiolgie) لعمليات التفوق الدراسي ،أو الموهبة العملية والفنية ، وهو في الوقت نفسه يؤثر على الوظائف الحيوية الأخرى لدى الأفراد كما أن تحقيق ذلك يتطلب البيئة والشروط التربوية الملائمة والمحفزة ليتحقق بذلك فاعلية الترابط بين الإمكانات الوراثية للأفراد والبيئة التربوية المحفزة.

وليس من العلمية أن نطالب المتفوقين وذوي الطاقات المتميزة باستمرار تفوقهم في ظل بيئة تربوية متخلفة.

إنّ مسيرة التقدم للأمة في العالم الإسلامي مسيرة تتكامل فيها مسؤولية الفرد والجماعة معاً؛ وهو تأكيد في الوقت نفسه على أن مسيرة التقدم للأمة مشروطة بمدى استثمار طاقات الأفراد وطاقات المجتمع معاً.

إن البيئة الاجتماعية تشكل مهداً حقيقياً للتنشئة الاجتماعية من حيث تربية القيم والتحفيز للتعلّم وتنمية الميول، وتكامل بناء الشخصية؛ وسواءً أكان الفرد يمتلك قدرات التفوق؛ أم الموهبة؛ فإن تنمية ذلك تتوقف إلى حد كبير على البيئة الثقافية للمجتمع الذي يعيش فيه.

وقد تأكد ذلك عبر تاريخ طويل للبشرية وفي بيئات اجتماعية متنوعة؛ وحالة التنوع هنا تستحق الذكر كحالة البيئة نفسها لأن العالم الإسلامي يضم دولاً متنوعة من حيث البيئة الجغرافية والإرث التاريخي والتقاليد والعادات الاجتماعية؛ والتنوع الثقافي حتى في الدولة

الـواحدة نفـسها؛ ونظـم الـسياسة والـنظم التـربوية والمـستوى الاقتـصادي لكـل مـن الـدول التـي يتضمنها فقراءة تاريخ الاهتمام بالمواهب والتفوق تقدم مؤشرات هامة حول هذه الحقائق.

ففـي الـصين القديمـة علـى سـبيل المـثال؛ اهـتم الـصينيون القدامـى بالمتفوقـين فكـان القـصر الإمبراطوري يحتضن الموهوبين؛ وتكاد تكون الصين من البلاد السباقة في رعاية المتفوقين؛ وكان التركيز على القدرات الأدبية ومهارات القيادة وسرعة القراءة والمحاكمة العقلية وحساسية الإدراك (تسين يشين ١٩٦١- Tsuin - Chen) وفي أوربا (عصر النهضة)؛ فقد كان التأثر واضحاً بعلم الجمال والجماليات Aesthtic وتأكد ذلك من خلال ظهور الفن الراقي في دور العبادة والمباني والمتاحف والهندسة المعمارية والآداب.

وفـي أمـريكا لـم يكـن الاهتمام بالمتفوقين قضية أولـوية فـي بدايـة نـشوء الـولايات المـتحدة الأمريكية واستمرت مؤشرات الاهتمام بالتفوق والمتفوقين بين صـاعد وهابط في إطار حراك بطـيء نحـو النـهوض؛ وقد قـاد ذلـك إلى بروز هذه القضية إلى معارج الأولوية في إطار تنافسي تاريخـي مـع الاتحـاد السوفيتي سابقاً حيث صدر كتاب المربي " بيستور عام ١٩٥٣ Bestor " بعنوان (الأرض التربوية اليباب Educational W astelands يدق جرس الخطر؛ قبل الإنجـاز السوفيتي؛ وكـان إطـلاق القمر الصناعي الروسـي سبوتنك عام ١٩٥٧ شرارة لانبعاث الاهتمام بتربية الموهوبين.

منهجية تنمية قدرات المتفوقين والموهوبين:

ـ يؤكد علم الجنين التكوين المتدرج للإنسان منذ بداية تكوين البيضة الملقحة؛ ومن ثم انقسام الخلايا ومراحل تكون الجنين وعمل الأجهزة الوظيفية ومراحل تكوين الدماغ والجملة العصبية ونموها، وقدرتها على تحسس الأشياء المحيطة ورعيها ومن ثمّ تعرف خصائصها وسلوكها وتقانات التحكم الفاعل في هذا السلوك.

وهذا ما يبرز الدور الأساسي للمدرسة لتنمية قدرات المتفوقين داخل المدرسة لجميع المواد الدراسية والنشطة الموازية لها.

كما أن للمدرسة دوراً كبيراً في الكشف عن الميول والموهبة ومؤشرات التفوق الدراسي ومتابعة تنمية هذه الخصائص بدءاً من رياض الأطفال وحتى نهاية التعليم الجامعي.

ولما كان المتفوقون والموهوبون هم قادة المستقبل في ميادين العلم والسياسة والطب والفنون والأدب والهندسة والتجارة والتقانة والاتصال والمعلوماتية؛ فليس من المعقول أن يتركوا يوجهون أنفسهم بأنفسهم ولا بد من أن تكون المدرسة في هذا المجال هي الأم الحاضنة والموجهة لتنمية طاقات التلاميذ وتنمية هواياتهم ومواهبهم.

فالمدرسة بنظامها؛ ومناهجها؛ وطرائق التعلم والتعليم فيها؛ ومناشطها الفنية والثقافية والاجتماعية ، هي المسؤولة أولاً عن تكوين العقل المنظم وتربية التفكير المنطقي؛ والتفكير المتجدد؛ والتفكير الاستكشافي المبدع – كما أن المدرسة ومن خلال بيئتها التربوية الجاذبة والغنية بالمثيرات وأنشطة التعلم الذاتي تمكن من اكتشاف الأطفال الذين تسمح لهم قدراتهم بالانتباه لنظم تسريع التعليم " Learning Acceleration" لأن المتفوقين يحتاجون في الوقت نفسه إلى برامج وخطط متميزة ومبادرات ذاتية حرة بهدف تطوير مهارات الإبداع لديهم ليتجاوزا البطء التفكيري الذي تكرسه النظم التقليدية.

سمات القيم العلمية في الإسلام

تتسم القيم العلمية التي وردت في القرآن الكريم؛ بمنظومة من الخصائص التي تمكن من تنظيمها على شكل مجموعات مترابطة فيما بينها وهي محاولة جادة بدأنا بها ليسهل على مصممي المناهج التربوية إبراز هذه القيم في المناهج وطرائق التعليم والتعلّم وتحقيق ترابط وظيفي بتتابع منهجي بين فروعها وهي كالآتي:

- المنهجية:

وردت القيم العلمية في القرآن الكريم وفق منهجية يظهر فيها الترابط والتتابعية وليست مفردات مجزأة، في مجالات الفكر الإنساني وسلوكه؛ ونظم الكون الذي نعيش فيه.

وقد حث الإسلام الإنسان على ارتياد آفاق جديدة في الكشف والتنقيب، لعلمه بأن الكون في جميع مكوناته ومسيرته يتطلب استمرارية البحث عن علاقات وقوانين جديدة تسهم في استمرار إعماره، وأن ما يصل إليه البحث العلمي من اكتشاف جديد ينبغي أن يشكل قاعدة للانطلاق إلى قمة جديدة في البحث والاكتشاف.

- الشمولية:

- تتسم القيم العلمية في الإسلام بالشمولية الممتدة إلى فروع المعرفة جميعها بمجالاتها الأساسية والتي ترتبط بمختلف مكوّنات الوجود البشري مؤكدة بذلك ما يلي:
  - العلاقات القائمة بين النظم الحية والنظم الطبيعية غير الحية الداخلية منها والخارجية.
  - استناداً إلى القيم منطلقات هذه القيم ومصادرها نجد ان بناة الفكر العلمي في الحضارة العربية والإسلامية يظهرون اكتشافاتهم العلمية وابداعاتهم في مختلف فروع المعرفة من مختلف مجالاتها مثل ما نجد عند ابن خلدون وغيره.

- التحفيزية:

هذه القيم العلمية تحفز للبحث والاكتشاف وتنمي التفكير العلمي لاستمرار البحث العلمي المستقبلي؛ وهي قيم علمية تستنهض فكر وجهود العلماء المسلمين دائماً لاستمرار البحث والتنقيب والإبداع؛ في عالم شديد التغير يتسم بتسارع المعرفة؛ والمستجدات التقانية المتلاحقة؛ وتعقيد تقانات الاتصالات حتى أصبح الحديث حالياً عن قرية الكترونية كبيرة في إطار عولمة متعددة الأبعاد والأهداف.

بواعث التفوق والموهبة

هناك عوامل ومؤشرات كثيرة، شديدة التعقيد والتداخل تؤدي إلى وجود التفوق والموهبة يقسمها بعضهم إلى عوامل ذاتية وعوامل موضوعية، وبعضهم الآخر إلى عوامل وراثية وعوامل مكتسبة، ومنهم من يرجعها إلى عوامل أسرية، وعوامل مدرسية وعوامل اجتماعية ، وعوامل شخصية ، وهناك من يتكلم بمفهوم أوسع عندما يتناول ظاهرة التفوق والموهبة من خلال النتاجات الإبداعية فيتكلم عن المناخ الخاص بالتفوق والإبداع . وفي كل الأحوال فمن ناحية مدرسية يمكن تناول العوامل على الشكل التالي هناك عوامل بالدرجة الأولى شخصية (عقلية ، نفسية ، وانفعالية) ، وهناك عوامل أسرية ومدرسية واجتماعية.

أولاً- العوامل الشخصية:

هي جملة العوامل العقلية والانفعالية والنفسية للفرد المتفوق يتجلى من بين هذه العوامل الشخصية وجود الدافعية ، فالأشخاص المتفوقون والموهوبون يتميزون بدافعيه قوية وطاقة عالية على المثابرة في العمل وميل واسع للإطلاع يظهر في الرغبة بالمعرفة وتجميع المعلومات.

وتنقسم الدافعية عادة إلى دافعية خارجية ثانوية ودافعية داخلية ، وتملك الدافعية مصدرها في الحالة الأولى من الظروف الخارجية لعملية الإبداع (الرغبة في الحصول على لقب ما أو على تميز أو مكانة اجتماعية.....) أما الدافعية في الحالة الثانية فتنطلق من الداخل من هدف مرسوم يظهر في الرغبة في البحث والمعرفة والشعور بالسعادة في اكتشاف الوقائع وإعطاء الأفكار الجديدة .

ثانياً-العوامل البيئية:

يمكن تعريف البيئة من الناحية النفسية أنها مجموع الاستثارة التي يتلقاها الفرد من لحظة إخصاب البويضة في رحم الأم حتى وفاته، إلا أننا يجب أن ننبه إلى أن مجرد الوجود الفيزيائي للأشياء لا يؤلف في ذاته البيئة، وإنما لابد أن تقوم هذه الأشياء بدور المثيرات للفرد، ويتسع التعريف ليشمل ما هو أكثر من البيئة بمعناها الشائع فيشمل كل صور الاستثارة، كما يمتد إلى حياة الفرد كلها والتي يمكن أن تصنف في بيئتين: بيئة ما قبل الولادة،وبيئة ما بعد الولادة .

تشمل بيئة ما قبل الولادة تغذية الأم وإفرازاتها الغدية وغيرها من شروطها الجسمية والنفسية، ويصف البعض هذه البيئة كما يلي: إن بيئة الجنين هي إطار يحصل منه على مقومات نموه وهذه البيئة ليست مغلقة بمعنى أنها ليست معزولة عن البيئة الخارجية، فالجنين يتأثر بغذاء أمه، فينمو بشكل سليم إذا كان الغذاء متزناً ويلحق به الأذى إذا ما أهملت الأم غذاءها، وتناول المواد الضارة يلحق الضرر بالجنين أيضاً ، فقد وجد أن نيكوتين السجاير والكحول تضر بالجنين ، كما أثبتت الأبحاث إن إحساس الأم الحامل بالقلق والحزن الشديد والأسى والغضب يؤثر في الجنين تأثيراً ضاراً ، وهذا الإحساس ينشأ في العادة من علاقات الأم الاجتماعية، وبذلك يكون الجنين غير معزول عن بيئة أمه الاجتماعية . وتشمل بيئة ما بعد الولادة كل أشكال

الاستثارة التي يتلقاها الفرد(مولوداً وطفلاً وشاباً وراشداً .....) بعد ولادته بحيث تشتمل على كل المثيرات والأشياء والمواقف والأحداث القريبة والبعيدة، المباشرة وغير المباشرة.

إضافة إلى مؤثرات التغذية والأمراض التي قد يتعرض لها المولود في أشهره الأولى والتي تؤثر في بنيته الجسمية والعقلية، فإن المؤثرات البيئية المدروسة تصنف تقليدياً بتأثيرات أسرية ومدرسية ومجتمعية وفيما يلي نتناول هذه المؤثرات بعلاقتها مع التفوق العقلي.

أ-العوامل الأسرية:

يؤكد الباحثون التربويون أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل والتأثيرات التربوية التي يتلقاها من أسرته حيث إنّ دماغ الطفل يتكامل في هذه السنوات، ففي سن الخامسة من عمره يبلغ دماغه ٨٠% من حجمه النهائي، وهو يشكل ١١% من وزن الطفل عند ولادته في حين لا يشكل أكثر من ٢,٥ % عندما يصبح بالغاً.

ب - العوامل المدرسية :

تعد المدرسة المؤسسة الثانية التي يتعلم الطفل وتتربى قدراته واستعداداته فيها، فبعد أن تكون عملية التعلم تلقائية إلى حد ما تصبح منظمة منضبطة بقوانين ولوائح مدرسية ، فيتعلم الطفل الكيفية التي يتمثل بها هذه القوانين ، ويلاحظ الكيفية التي يمارس بها تعلمه ، وكيف يتمكن من ممارسة إمكاناته في المجالات الأكاديمية وغير الأكاديمية . فالأهداف الأساسية من التعلم المدرسي هو أن يصل الطفل إلى أقصى ما تستطيعه قدراته في المجالات المختلفة على هيئة مواد دراسية، ومجالات غير دراسية كالأنشطة الحرة المختلفة، وان ينمو في جميع جوانب شخصيته نمواً متكاملاً ليحقق المواطنة والانتماء إلى المجتمع الذي يعيش فيه.

ج- العوامل الاجتماعية :

إن للشروط الاجتماعية العامة تأثيراً في ظهور حالات التفوق بأشكاله المختلفة ، فعقد المهرجانات العامة التي تنظمها هيئات تربوية وفنية وإنتاجية يمكن إن تسهم في إظهار القدرات المختلفة في المجالات العلمية والفنية والتقانية . والفرد المتفوق هو من حيث

الأساس لا يكون تفوقه خارجاً عن الجماعة التي يعيش فيها، ولا يمكن للفرد أن يكون في إنتاجه منعزلا عن الآخرين ، يقول عالم الفيزيزلوجيا جيرارد: **إن تصوراتنا الإبداعية بكاملها ليست نتاجا لدماغ إنسان معزول بل هي نتاج للتفاعل مع الآخرين ومع تاريخ الحضارة بكاملها "**

ينبغي للمجتمع إن يوجه أفراده إلى الحاجات الضرورية والمشكلات التي تتطلب حلولا ابتكارية فالحاجة كما يقال أم الاختراع ، ولهذا فإن جملة الشروط الاجتماعية هي التي توفر المناخ العام لظهور الإبداعات المختلفة ومن هنا نجد إن كثيراً من الاكتشافات كانت تتم في وقت واحد أو في ظل الحاجة المشتركة للبشرية، وهذا ما يسميه غوته (روح العصر)، أي إن هناك فترات اجتماعية يمكنأن تظهر فيها النتاجات الإبداعية تبعاً لحاجات المجتمع في هذا المجال أو ذاك . وكثيرة هي الأمثلة التي تمت فيها اكتشافات متطابقة ومتزامنة وفي أمكنة مختلفة. وإذا نقلنا هذا المعنى العام إلى ما هو خاص، فإن انتساب الفرد إلى مجتمع تزدهر فيه مستلزمات الحياة المادية والفكرية والحرية يمكن أن يقود إلى ازدهار في الطاقات العقلية والإبداعية وتفتحها.

رعاية المتفوقين

إن العناية بالمتفوقين والموهوبين تتطلب بالدرجة الأولى مواجهة حاجاتهم العقلية بوضع برامج وأساليب وطرائق تستهدف تنمية القدرات الابتكارية والميول العلمية والفنية، وبالدرجة الثانية وبالتزامن وجود برامج إرشادية نفسية واجتماعية تعزز من روح الانتماء والمواطنة وتواجه حاجات المتفوق في النواحي النفسية والاجتماعية، وذلك من أجل خلق فرد متكامل في جوانب نموه المختلفة .

١ – الرعاية النفسية الاجتماعية :

يتطلب الموهوبون وذوو القدرات المميزة العناية والرعاية النفسية والاجتماعية، لأن لهم حاجات كما لدى الأفراد العاديين حاجات مختلفة، يوضح بعض العلماء أن حاجات الأطفال

الموهوبين هي نفسها حاجات الأطفال العاديين ويمرون كذلك بمراحل النمو نفسها بالإضافة إلى عدم النمو المتوازن لبعض النواحي .

والرعاية النفسية والاجتماعية مطلوبة لهم أكانوا في إطار الصفوف العادية، أم في مدارس أو صفوف خاصة بهم، فالموهوبون لهم حاجات مختلفة تذكرها الأدبيات المختلفة مثل الحاجة إلى المزيد من الإنجاز والحاجة إلى المزيد من تقدير الآخرين والمزيد من العناية والحاجة إلى برنامج دراسي خاص والحاجة إلى الاندماج الاجتماعي، فهذه الحاجات تتطلب إشباعاً عن طريق المؤسسات التربوية والاجتماعية، وعن طريق وجود تنظيم متكامل يضم البرنامج الدراسي، والبرنامج الإرشادي ففي الدراسة التي قام بها الباحثون وهدفت إلى معرفة أساليب المعاملة الوالدية للطلبة المتميزين وأقرانهم ومعرفة الحاجات الإرشادية لديهم، ومعرفة العلاقة بين الحاجات الإرشادية وأساليب المعاملة الوالدية، فقد أظهرت النتائج أن من أهم حاجات المتميزين الحاجة إلى معرفة كيفية الحصول على حب الآخرين واحترامهم، والحاجة إلى معرفة أساليب مواجهة القلق وعدم الشعور بالأمن والحاجة إلى معرفة الحياة الجنسية السليمة. من كل ذلك يمكن القول إن الاهتمام بالمتفوقين وحاجاتهم النفسية والاجتماعية والعمل على إشباعها جزء أساسي من أجل إنماء شخصياتهم وتطوير إمكاناتهم، بخاصة إذ عرفنا إن قسماً كبيراً من المتفوقين قد يكونون سابقين لأقرانهم في التحصيل وأصغر منهم سناً بصورة ملحوظة الأمر الذي يؤدي كما يقول " **تراسييه** " إلى نقص التزامن ونقص التزامن يعني عدم التوافق ما بين نضج المتفوق عقلياً ونموه الاجتماعي والعاطفي والجسمي، ويعني كذلك أن يكون نمو الطفل العقلي مساوياً لطفل في العاشرة من العمر بينما يكون عمره الزمني والجسدي والاجتماعي والانفعالي خمس سنوات، وهذا يؤدي إلى تعقيدات كثيرة بالنسبة للطفل المتفوق، وهي تعقيدات يمكن أن لاتسبب أي مشكلة لولا إحساس المجتمع بهذا التناقض، وتتجلى المشاكل التي يسببها نقص التزامن في عدة أشكال إن كان في البيت أو في المدرسة، وحتى في كل مكان، فنجد أن المعلمين يجدون صعوبة في تقبل وضع طفل يبلغ خمس سنوات من العمر ويستطيع قراءة كتاب يعطى عادة لأطفال عمرهم عشر سنوات.

إضافة إلى ذلك هناك مجموعة من المشكلات قد تظهر مثل ضغط الأقران ومشكلة الضجر، ومشكلات انفعالية – اجتماعية تتطلب تقديم الرعاية النفسية والاجتماعية .

٢ – الرعاية التربوية والتعليمية :

وهي مدارس لا تقبل إلا الطلبة المتفوقين أكان هذا التفوق تحصيلاً أم موهبة أم قدرة ذكائية عالية أم قدرات ابتكارية. وتعمل هذه المدارس على تقديم المناهج والبرامج التي تواجه حاجاتهم التربوية والتعليمية المختلفة، وتستثير طاقاتهم وقدراتهم في مجال أو أكثر من المجالات التي يتميزون فيها. فبعضها يخصص لذوي المواهب الخاصة سواء في الموسيقى أو الرسم أو الرقص مثل مدرسة (**مونيوهين في بريطانيا**) وبعضها يخصص للمتفوقين الذين يتوافر لديهم معامل ذكاء أكثر من ١٣٠ نقطة مثلاً (**مدرسة هنتر في نيويورك**)، وبعضها يخصص للمتفوقين في إحدى المجالات العلمية كالعلوم مثلاً (**مدرسة برولكس الثانوية في الولايات المتحدة الأمريكية**) .

وعلى المستوى العربي فقد أنشئت أول مدرسة للمتفوقين في مصر العربية وذلك في العام الدراسي ١٩٥٤ – ١٩٥٥م وقد احتوت هذه المدرسة على ٤٢% - ٦٠% من عدد الطلبة المتفوقين في مصر. تنص اللائحة الداخلية لهذه المدرسة على قبول الخمسة الأوائل في امتحان الشهادة الإعدادية من كل منطقة، والهدف من وراء هذه المدرسة تدريب الطلبة على التفكير العلمي والابتكار. أما بالنسبة للمناهج فقد كانت هي المناهج التي تدرس للطلبة العاديين ولكن بشكل مكثف ومعمق في بعض المواد المدرسية .

وفي الجمهورية العربية السورية كانت المحاولات الأولى على شكل إحداث شعب خاصة للمتفوقين يقبل فيها الطلبة وفقاً لمجموعة معايير حددتها وزارة التربية وذلك في العام الدراسي ١٩٩٧ – ١٩٩٨م. ثم تتالت الاهتمامات عبر دراسة موضوع إحداث مدارس للمتفوقين يتم فيها إثراء المناهج الخاصة بهم وقد اشترط للقبول في هذه المدارس مجموعة من الشروط حددت على مستوى الدخول للمرحلة الإعدادية، والمرحلة الثانوية .

إن المعيار الأساس في الدخول إلى مدارس المتفوقين هو التفوق في التحصيل الدراسي إلا إن العناية بالمتفوقين قد عرفت أشكالاً أخرى من المدارس يمكن ذكر الآتي :

*** – مدارس التدريب الخاص :**

وهي نوع من المدارس الثانوية التي تستقطب ليس فقط الطلبة المتفوقين، وإنما الطلبة العاديين الذين يسعون إلى تدريب من نوع خاص حيث تعمل على تزويدهم بالتدريب المناسب في مجالات تخصصية متعددة كالفن أو الرياضيات أو العلوم .

*** – المدارس الخاصة الأهلية :**

وهي نوع من المدارس التي تقدم برامج مكثفة تختلف عن برامج المدارس العادية ومن أمثلة هذا النوع من المدارس مدرسة تسمى المركز الجديد للتعليم في هيلز بورد بكاليفورنيا. وهذه المدرسة تعمل على تزويد التلامذة المتفوقين ممن تتراوح أعمارهم ما بين ٤ – ١٢ سنة بالخدمات التي تساعدهم على تطوير قدراتهم كما تستثير الفضول للمعرفة وروح المسؤولية والثقة. وإضافة إلى المواد الأساسية فإنها تقدم للتلامذة تدريباً خاصاً على تعلم البيانو والباليه والتزلج وموضوعات أخرى.

٣ – رعاية المواهب والقدرات الخاصة :

الموهبة استعداد قطري، أو جملة من الخصائص الموروثة التي تؤهل صاحبها، فيما إذا وجدت التربية البيئية المناسبة لأن يكون متميزاً في مجال من مجالات العلوم أو الفنون أو الآداب. والموهبة لغة، اسم من وهب، وجمعها مواهب، هي كل ما وهبه الله لك (متن اللغة ص ٢٨) .

لقد كانت المواهب تقتصر على المواهب الفنية Artistic Talents فنقول الموهبة في الرسم أو الموسيقا، في الرقص أو الطلاقة الشعرية إلا أن الباحثين توسعوا في هذا المعنى بحيث جعلوا من الموهبة مرادفاً للتفوق في المجالات المختلفة الأكاديمية وغير الأكاديمية والمواهب لها جانب كبير فطري، يستدل على هذه الفطرية من خلال دليلين اثنين:**الأول** وجود الموهوبين بين أسر تضم فيها موهوبين، ففي دراسة (نورمان ماير Narman Maier) على الأطفال الموهوبين في الفن وجد أن نسبة المميزين في أسرهم أعلى منها في أسر الأطفال العاديين. والدليل **الثاني** هو ظهور التميز والنبوغ في سن مبكرة فقد عزف " هاندل " على البيانو وعمره

سنتان، وألف أول قطعة موسيقية وعمره إحدى عشرة سنة، وعزف " موزارت " الموسيقا في سن الثالثة، وقال المعري الشعر في سن الخامسة وكتب " بلاك " أول قصائده في سن السابعة وغير ذلك من الأمثلة . إن هذين الدليلين وهما أن الموهبة تظهر غالباً عند أسر الموهوبين، وأن الموهبة يمكن أن تظهر في سن مبكرة فإنما يشيران إلى أن الموهبة استعداد أولي وراثي إلا أنه يغتني بالخبرة والتجربة والبيئة المناسبة .

فالبيئة أيضاً لها دور كبير في إظهار الموهبة. ويقصد بالبيئة هنا الظروف الأسرية والمدرسية والمجتمعية. فالظروف الأسرية الطيبة، والبيئة المدرسية المناسبة، وجملة الظروف الاجتماعية الصالحة توفر مناخاً لإظهار الموهبة وتحريرها.

٤. الارتقاء بالموهبة لطلاب التعليم الجامعي الإسلامي:

تقديراً لدور التعليم الجامعي في البناء الحضاري والتنموي للعالم الإسلامي، فالاهتمام بمواهبه تحتل الأولوية ويمكن تنميتها من خلال الاقتراحات التالية:

- الحد من هجرة الطلبة الجامعيين للعمل في الخارج
- تطوير الخبرات وتوفير مصادر المعرفة الكافية بالمكتبات.
- رفع نفقات الطالب الجامعي لتوفير إمكانات البحث.
- إغناء المكتبات بمصادر المعرفة المتنوعة والمستجيبة للاحتياجات التعليمية لدى الطالب.
- رصد جوائز للإبداع لتشجيع المواهب المكمونة.
- تشجيع وتنويع الأنشطة الجامعية الثقافية والاجتماعية والعلمية والفنية.
- تبادل الخبرات والزيارات بين طلبة الجامعات.
- إجراء مسابقات ثقافية علمية للطلاب الجامعيين.
- إجراء الاختبارات لاكتشاف المواهب للتقييم القبلي والبعدي معا لاكتشاف المواهب عند الولوج والتخرج.
- إحداث شعب خاصة للمتفوقين يختارون وفق معايير خاصة.
- توفير الوسائل الكفيلة بتنمية مواهبهم وتفوقهم (المختبرات، الرحلات، المسابقات، إلخ...).